مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 15 العدد 1، 2018، ص ص 397- 419

فاعليّة المكوّن السّرديّ في الاتّساق اللسانيّ للنّصّ
نماذج مختارة من شعر أبي فراس الحمدانيّ

عبد المهدي هاشم الجرّاح* و خالد قاسم بني دومي**

تاريخ الاستلام 2017/12/12 تاريخ القبول 2018/2/5

ملخص

يهدف البحث إلى دراسة الجوانب الوظيفيّة البنائيّة للمكوّن السّرديّ في البناء الاتّساقيّ للنّصّ الشّعريّ، وقد اتّخذ من بعض النّماذج الشّعريّة لأبي فراس الحمدانيّ ميدانًا للتّطبيق. تناول البحث بدايةً استثمار السّرد في الشّعر، ثمّ المشروع السّرديّ، ودرس بعد ذلك آليّات تنفيذ المشروع السّرديّ النّصّيّ لسانيًّا. خلص البحث إلى أنّ السّرد كان له الدّور الفاعل في بناء شبكة العلاقات الاتّساقيّة في النّصّ الشّعريّ، كما أنّه يرتبط بالبنية النّصّيّة برابط تفاعليّ تكامليّ، فهو يستحدث التّقنيات ثمّ يتضمّنها.

الكلمات المفتاحية: فاعليّة، المكوّن السّرديّ، الاتّساق، أبو فراس الحمدانيّ، اللسانيّات.

عتبة:

يعالج هذا البحث، على نحو معمّق، مسألة الفعاليّة الإنتاجيّة والبنائيّة للمكوّنات السّرديّة في البناء والاتّساق النّصّيّ، وبعبارة أخرى: أثر المكوّن السّرديّ في اللسانيّات النّصّيّة، وما ينجزه في بناء شبكة العلاقات الاتّساقية للنّصّ.

ويأتي اختيار هذا البحث لما سبق ذكره من ناحية؛ ولأنّ السّرد يرتبط بالبنية النّصّيّة برابط تفاعليّ تكامليّ من ناحية أخرى، بمعنى أنّه يبدع تقنيات البناء والتّرابط ثمّ يتضمّنها، وهذا بدوره يدفع باتّجاه جعل الخطاب سرديًّا قائمًا على سياقات بنائيّة مختزنة في ذهنيّة طرفي العمليّة الاتّصاليّة الأساسيّين: (المرسل والمستقبل)، أو الكاتب والقارئ، وجعله أيضًا بنية تعبيريّة منتظمة خاضعة لعمليّات اشتقاقيّة ذهنيّة متسلسلة متركّزة في النّصّ المحفّز لعمليّة القراءة[1].

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2018.

* قسم العلوم الإنسانية، كلّية العلوم والآداب، جامعة العلوم والتّكنولوجيا الأردنية، إربد، الأردن.

* قسم اللغة العربيّة وآدابها، كلّية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

وبناءً على هذا يمكن القول إنّ السّرد يمتلك فعاليّة كبيرة جدًا؛ منظّمة وملحوظة، في عمليّة بناء النّصّ الأدبيّ، فهو يمتلك الرّوابط الذّهنيّة والرّوابط اللفظيّة؛ إنّه يمتلك كلّ ما من شأنه أن يُغْني النّصّ ويجعله منسّقًا ومقبولاً ومؤثّرًا؛ وهذا أصلاً أساس ما انطلقت منه اللسانيّات النّصيّة، وهو بناء نصّ قائم على الاتّساق والتّماسك، ممّا يدفع إلى الفهم الصّحيح له، وبناء كفاية نصيّة تمكّننا من صوغ النّصوص وإبداعها وفق قواعد محدّدة وثابتة[2].

صفوة القول: إنّ هذا البحث قد جاء ليجيب عن مجموعة من التّساؤلات؛ أوّلها: ما المهامُّ الّتي يؤدّيها السّرد في العملية البنائيّة للنّصّ الأدبيّ من وجهة نظرٍ لسانيّة نصيّة خالصة؟ وثانيها: هل مهمّة السّرد هي تشكيل التّتابع البنائيّ أم إنّ له مهامَّ أخرى؟ وثالثها: كيف يؤثر السّرد في البناء اللسانيّ للنّصّ؟

وقد اخترنا لهذه الغاية نماذج من شعر أبي فراس الحمدانيّ لمجموعة من الأسباب:

الأوّل: أنّ دراسة النّصّ الشّعريّ القديم في ضوء المناهج الحداثيّة المعاصرة، فيها إعلاء لشأن النّصّ من جهة، وإظهار لغناه وتميّزه من جهة أخرى. ومن هنا فإنّ أهمّيّة الدّراسة تكمن في أنّها تحاول مقاربة نصوص، بل مقطوعات شعريّة قديمة بمنهج عصريّ للدّراسة، وأدوات جديدة للتّحليل.

والثّاني: أنّ النصوص التي عولجت في هذا البحث على قلّتها، يمكن أن تكون مدخلاً لتوسيع دائرة التطبيق لتشمل النّتاج الشّعريّ لأبي فراس الحمدانيّ.

والثّالث: أنّ الحسّ السّرديّ يظهر بصورة جليّة في البناء اللسانيّ لقصيدة أبي فراس الحمدانيّ، إذ يشكّل تقنية بنائيّة تفاعليّة، ترتبط بالمقصديّة الشّعريّة بصورة متفاعلة؛ بل إنّ السّرد في قصائد أبي فراسٍ يشكّل بُؤَرًا اتّساقيّة مهمّة؛ وهو بذلك يعيدنا إلى تعريف فاينريش (Weinrich) للنّصّ بأنّه "تكوين حتميّ يحدّد بعضه بعضًا، إذ تستلزم عناصره بعضها بعضًا لفهم الكلّ"[3]، فالسّرد "أداة من أدوات التّعبير الإنسانيّ"[4].

ولتحقيق ما تقدّم ذكره سنتناول ثلاثة من المحاور: أوّلها استثمار السّرد في الشّعر، وثانيها المشروع السّرديّ، وثالثها تنفيذ المشروع السّرديّ النّصّيّ لسانيًا.

أوّلاً: استثمار السّرد في الشّعر:

لا شكّ أنّ تقنية السّرد هي تقنية بنائيّة تعبيريّة نثريّة استعارها الشّعراء من عالم القصّ؛ يقول عزّ الدّين إسماعيل: "والمقصود بالقصّة في الشّعر هو استخدام الشّاعر الغنائيّ لبعض أدوات التّعبير الّتي يستعيرها من فنّ آخر هو فنّ القصص المستخدمة في مثل هذه الحالة..."[5].

وهذا يثبت فكرة تداخل الأجناس الأدبيّة ومشروعيّتها، ويؤكد أنّ النّصّ – كما يقول إيكو- هو: "كون مفتوح"[6]، وهذا الانفتاح يجعله حاملًا لمشروع محدّد بأطر إيديولوجيّة وزمكانيّة ثابتة، وقد كان (غريماس) محقًّا حينما جعل السّرد سلسلة من الملفوظات المتتابعة ذات مستندات متشاكلة، أو لنكن أكثر دقّة، ذات مستندات توظّف لتشاكل جملة من التّصرّفات الهادفة إلى تحقيق مشروع، ويكون هذا التّشاكل ألسنيًّا أي: على المستوى الألسنيّ[7].

ويبدو أنّ ما تركه الحمدانيّ من إرث شعريّ، يثبت ظاهرة تداخل السّرد مع الشّعر، ويؤكّد أنّ السّرد لعب دورًا مهمًّا في بناء القصيدة الحمدانيّة، بل إنّه شكّلها تشكيلًا حقيقيًّا ومؤثّرًا؛ يقول في قصيدة طويلة له:

تَقولُ إِذا ما جئتُها مُتَدَرِّعًا ... أَزائِرُ شَوْقٍ أَنتَ أَمْ أَنتَ ثائِرُ

فَقُلتُ لَها كَلّا وَلَكِن زِيارَةٌ ... تُخاضُ الحُتوفُ دونَها وَالمَحاذِرُ

تَثَنَّتْ فَغُصْنٌ ناعِمٌ أَمْ شَمائِلُ ... وَوَلَّت فَلَيْلٌ فاحِمٌ أَمْ غَدائِرُ

فَأَمّا وَقَد طالَ الصُّدودُ فَإِنَّهُ ... يَقَرُّ بِعَينَيَّ الخَيالُ المُزاوِرُ

تَنامُ فَتاةُ الحَيِّ عَنِّيْ خَلِيَّةً ... وَقَد كَثُرَتْ خَلْفي البَواكي السَّواهِرُ

وَتُسعِدُني غُبرُ البَوادي لِأَجْلِها ... وَإِنْ رَغِمَتْ بَينَ البُيوتِ الحَواضِرُ[8]

إلى نهاية القصيدة الّتي يقيمها شاعرنا على إستراتيجيّة الحوار والتّعاقبات القوليّة الفعليّة، الّتي تؤكّد فعاليّة السّرد في إنتاج الرّوابط النّصّيّة من جهة، وتضمُّن السّرد لسلسلة الرّوابط النّصّيّة من جهة أخرى، وهذا يظهر لنا بوضوح مدى التّرابط الحاصل بين السّرد وتقنيات الرّبط النّصّيّ بوصفه أداة بنائيّة تفاعليّة. ولعلّ مثل هذا الاستعمال الشّعريّ، يثبت أنّ السّرد بالنّسبة للشّاعر يمثّل مشروعًا مبرمجًا، أي يحمل رؤية تعبيريّة ذات طابع نسقيّ تنضيديّ، وهو يتّخذ سمة التّحوّل والتّبدّل عبر كلّ حدث من الأحداث المفصليّة الّتي ينقلها النّصّ، وهذا ما يظهره النّصّ، وقد كان (بارت) محقًّا حينما جعل السّرد حاضرًا في مختلف الفنون الأدبيّة والتّايخيّة، فهو حاضر في الأسطورة والخرافة والمثل والحكاية والقصّة القصيرة، والملحمة والتّاريخ والتّراجيديا والمأساة والملهاة[9].

ثانيًا: المشروع السّرديّ:

بناءً على ما سلف نجزم بالقول: إنّ السّرد من منظور الشّاعر قد يشكّل في كثير من الأحيان مشروعًا ينفّذ بوساطة برامج مختلفة، وهو أداة لهذه البرامج من جهة أخرى، فالسّرد تقنية أو أداة تعبيريّة يحتاج سلسلة من البرامج لتحقيقه، وهذا البرامج تصدر من مقصديّة محدّدة في ذهن المرسِل، فهو، نعني السّرد، جنس "يستدعي أن تكون له أنواع كما يستدعي أن يكون له تاريخ"[10]، وهنا تأتي مهمّة القارئ؛ فلا بدّ من مشاركته للمرسِل؛ وذلك للكشف عن المعاني النّصيّة عن طريق التّأويل التّفاعليّ[11]، ويكون عمل السّرد هنا قائمًا على التّركيز على نمط البنية؛ لأنّ "عمل الحكاية يركّز على نمط القول المحدّد لنمط البنية"[12]. إذن فالمسألة متشابكة، وفي اللسانيات النّصيّة ينطلق المرسل من مشروع قائم على مجموعة من البرامج، والأصل هو البحث في كيفيّة التّرابط الحاصل بين البنى النّصيّة ومكوّناتها الظّاهرة والباطنة، أي كيفيّة التّرابط بين البنى النّصيّة السّطحيّة والبنى العميقة، والمقصود هنا التّركيز على التّرابط المفهوميّ واسترجاع عناصره[13]، وهذا يدفع إلى تحديد سلسلة التّرابطات الّتي تؤدّي إلى الاتّساق؛ وهذه التّرابطات تتّخذ بعدين: بعدًا ظاهرًا وبعدًا باطنًا[14]. أمّا البعد الظّاهر فيتمثّل في علاقات الوصل والفصل والتّكرار والإحالة جميعها، وأمّا البعد الباطن فيتمثّل في بعض صور العلاقات السّببيّة، والإجمال والتّفصيل والخصوص والعموم[15]، وبعض العلاقات التّصوّريّة.

وإذا ما أنعم المُطّلع أو الباحث نظره في المشروع السّرديّ الخاص بكل نصّ من النّصوص، فإنّه سيترسّخ لديه أنّ المشروع السّرديّ يتضمّن هذه الإستراتيجيّات اللسانيّة النّصيّة، كما أنّ المطّلع أو الباحث نفسه يقوم بتوليدها وتفعيلها عبر العمليّة التّعبيريّة الخاصّة بكلّ نصّ من النّصوص.

ثالثًا: تنفيذ المشروع السّرديّ النّصّيّ لسانيًا:

يعمل المكوّن السّرديّ[16] على البناء الاتّساقيّ للنّصّ الشّعريّ، ويتمثّل ذلك في فعاليّته الكبرى في الاتّساق على جميع المستويات الّتي تحملها بنيتا النّصّ الشّعريّ: الكبرى والصّغرى[17]، فالبنية الكبرى تركّز على المعيار القضوي، والأبنية الكبرى للنّصوص هي تصوير للتّرابط الكلّيّ في تتابع كلّيّ أو جزئيّ لعدد كبير من القضايا الدّلاليّة العامّة[18]، ووظيفتها هي جعل المستقبل يحدّد موضوع النّصّ الرّئيس، فيعمد إلى علميّات الحذف والاختيار[19]، وصولًا إلى نسق فكريّ موحّد متجانس، أمّا البنية الصّغرى فهي خاصّة بالتّركيب الجمليّ وتعالقاته وأبعاده النّصيّة سواء أكانت سطحيّة أم عميقة[20]. بمعنى أنّ هناك تتابعًا لمتواليات جمليّة متماسكة دلاليًا؛ كلّ جملة تقبل التّفسير في خطّ داخليّ بالنّسبة لتفسير الجمل السّابقة لها[21].

وفي ضوء هذا التّصوّر للبنية الصّغرى، فإنّ أدوات التّرابط السّطحيّ الّتي يميّزها علماء لغة النّصّ هي مؤشّرات لغويّة تتمثل في أدوات العطف، وعلامات الوصل، والتّرقيم، وكذلك أسماء الإشارة والأسماء الموصولة وأدوات التّعريف، وأبنية الحال وأسماء الزّمان والمكان وغير ذلك من المؤشّرات الرّابطة؛ كذلك العلاقات السّببيّة التّدرّجيّة والتّسلسليّة[22].

والسؤال الّذي يطرح نفسه هنا، بناء على ما سبق: ما هي الفاعليّة الحقيقيّة للسّرد في بنيتي النّصّ الكبرى والصّغرى؟

لا بدّ أن ندرك، منذ البداية، أنّ البنية السّرديّة ليست بنية عشوائيّة مجّانيّة؛ لأنّها مرتبطة بمقصديّة المرسِل الواعية، كيف لا وهو – أي السّرد: "الطريقة الّتي يصف أو يصوِّر بها الكاتب جزءاً من الحدث، أو جانبًا من جوانب الزّمان أو المكان اللذين يدور فيهما، أو ملمحًا من الملامح الخارجيّة للشّخصيّة، أو قد يتوغّل إلى الأعماق فيصف عالمها الدّاخليّ وما يدور فيه من خواطر نفسيّة أو حديث خاصّ مع الذّات"[23]. فهو يعكس الأطر البنائيّة والفنّيّة والفكريّة، وهو حاضنٌ ومولّد لسلسلة التّقنيات البنائيّة المتواترة عبر النّصّ، ويظهر هذا في مستويات النّصّ جميعها، وعن طريق تتبّع السّرد في شعر الحمدانيّ توصّلنا إلى أنّ السّرد يحتضن التّقنيات البنائيّة النّصيّة، ثمّ تتولّد من هذه التّقنيات تقنيات بنائيّة أخرى تبدو عبر أنماطه الثّلاثة: الإفراديّ والتّكراريّ (الإعاديّ)، والتّردّديّ (التّأليفيّ)[24]. إنّه علم يرصد نظم إنتاج النّصّ وتلقّيه[25]. وهنا يتم تحديد الأدوات العامليّة وتوزيعها وتحوّلاتها؛ لأنّ السّرد يشكّل إنتاجيّة فاعليّة تدخل في بناء النّسيج الكلّيّ للخطاب[26]. بل هو أساس انسجام الخطاب، كما هو الحال في تحليلات روبرت دي بوجراند[27]. نخلص ممّا سبق إلى أنّ السّرد يؤثّر في البناء اللسانيّ للنّصّ الشّعريّ عن طريق ملاحظة مظهرين: الأوّل السّرد والكلّ النّصّيّ (البنية الكبرى للنّصّ)، والثّاني السّرد واستحضار العلاقات الظّاهرة والباطنة. وبيان هذين المظهرين فيما يأتي:

أوّلًا: السّرد والكلّ النّصّيّ (البنية الكبرى):

بما أنّ السّارد يسرد "فعل الشّخصيّات المرتبطة فيما بينها بعلاقات، وتتحرّك بناءً على حوافز تعود إلى حبكة أو عقدة ومن ثَمَّ إلى نهاية أو حلّ"[28] فإنّه يوظّف تقنياتٍ ذهنيّةً وعقليّةً معقّدةً تسهم في إنتاج النّصّ وتلقّيه؛ وربّما هذا حسب ماندلر (Mandler) هو ما يجعل عقل القارئ يركّز على توقّعات الطّريقة أو النّموذج الذي ينتج به القصّة[29]. وهذا ما يجعل هذه التّوقّعات مميِّزة للطّريقة أو النّموذج السّرديّ حسب ظهوره، أي: مكان هذا الظهور وتوقيته[30]. وهذا يعني أنّ السّرد هو منظّم لجميع السّياقات النّصّيّة، فهو يؤسِّس للإستراتيجيات وسلسلة الأبعاد التّنظيميّة البنائيّة والمعرفيّة[31]. فما هو موجود في النّصّ يحثّ على التّساؤل؛ لأنّ هذا التّساؤل هو الذي يحدث الانتظام في فهم مضمون النّصّ، أي أنّ سلسلة المسرودات هي الدّافع

وراء السّؤال: ما العلاقة بين هذا وهذا؟ وما العلاقة بين العنصر (أ) والعنصر (ب) في جسم النّصّ؟ ثمّ كيف تتمّ المؤاخاة بين المختلفات من الأفكار المطروحة داخل النّصّ؟ يقول الحمدانيّ مداعبًا سيف الدّولة، بعد أن عفا عن الحلّة وأمر بردّ ما أخذ لابنة "مماغث" وهو من بني نمير:

وَما أَنْسَ لا أَنْسَ يومَ المغَارِ مُحَجَّبَةً لَفَظَتْها الحُجُبْ

دَعاكَ ذَوُوْها بِسُوْءِ الجِوارِ لِما لا تشاءُ، وَما لا تُحِبْ

فَوافَتْكَ تَرْفُلُ في مِرْطِها وقدْ رأتِ الموتَ مِنْ عَنْ كَثَبْ

وقد خلطَ الخوفُ لما طَلَعْـ ـتَ دَلَّ الجَمالِ بذُلِّ الرُّعُبْ

تُسَارِعُ في الخطو لا خِفَّةً وتَهْتَزُّ في المشي لا مِنْ طَرَبْ

فلمّا بَدَتْ لكَ فوقَ البُيُوتِ بَدا لَكَ مِنْهُنَّ جَيْشٌ لَجِبْ

فَكُنْتَ أَخاهُنَّ إِذْ لا أَخُ وَكُنْتُ أَباهُنَّ إِذْ لَيْسَ أَبْ"[32].

إنّ سلسلة العناصر السّرديّة الّتي تنقل المسرود القصصيّ تدفع القارئ إلى استحضار السّياق الّذي ولّد هذه التّتابعات السّرديّة؛ تتابعات الجمل الفعليّة الّتي تقود الحدث وتناسب سرعته، فهناك عدم النسيان، والدّعوة إلى ما لا يرى وما لا يحبّ، ثمّ هناك موافاة وتسارع في الخطو واهتزاز في المشي، ثمّ هناك تعليق لسلسلة هذه العناصر الفعليّة المتتابعة بمسألة الرّؤية الشّعريّة المرتبطة بهيبة سيف الدّولة وظهوره، فحينما ظهرت ابنة "مماغث" الملفوظة الحجب، كان سيف الدّولة أخاها وأباها في لحظات تضيع فيها الأخوّة والأبوّة. ويتابع الشّاعر (السّارد) بناء قصيدته؛ نعني بناء هيكليّة النّصّ الكبرى (قضايا النّصّ) اعتمادًا على تتابع العناصر السّرديّة قائلًا:

وَمَا زِلْتَ مُذْ كُنْتَ تَأْتِي الجَمِيْلَ وَتَحْمي الحَرِيْمَ، وَتَرْعَى النَّسَبْ

وتغضبُ حتّى إذا ما مَلَكْتَ أَطَعْتَ الرِّضا، وَعَصَيْتَ الغَضَبْ

فَوَلَّيْنَ عَنْكَ يُفَدِّيْنَها وَيَرْفَعْنَ مِنْ ذَيْلِها ما انْسَحَبْ

يُنَادِيْنَ بَيْنَ خِلالِ البُيُو تِ: "لا يَقْطَعِ اللّهُ نَسْلَ العَرَبْ"

أَمَرْتَ وَأَنْتَ المُطاعُ الكريمُ بِبَذْلِ الأَمانِ وَرَدِّ السَّلَبْ

وَقَدْ رُحْنَ مِنْ مُهَجاتِ القلوبِ بِأَوْفَرِ غُنْمٍ وأَغْلى نَشَبْ

فإلّا يَجُدْنَ بِرَدِّ القُلوبِ فَلَسْنا نَجُوْدُ بِرَدِّ السَّلَبْ [33].

يُلحظ هنا تتابع العناصر السّرديّة النّصيّة وتداخلها، وبخاصة مسألة تداخل التّتابع الفعليّ السّرديّ مع القول الفعليّ السّرديّ، إذ تتداخل الأفعال السّرديّة مع بعض الأقوال، مثل قول النساء ومناداتهنّ: "لا يقطعِ اللهُ نسلَ العَرَب!"، وكذلك تداخل تتابعات الأفعال مع مسألة تعليق الفعل على الفعل، أي: الحدث على الحدث، كما هو الحال في البيتين الأخيرين. والسؤال هنا عَلامَ تمّ بناء هذا السّرد الشّعريّ؟ وبعبارة أخرى: ما هو السّياق الذي أوجد بنية النّصّ الكبرى؟

إنّه السّياق المعرفيّ الاجتماعيّ؛ لأنّ هذه القصيدة بتتابعاتها السّرديّة مبنية على سياق قصصيّ، يتمثل في قول ابن خالويه: "قال الأمير أبو فراس: خَرَج سيف الدّولة في طلب بني "كِلاب" ومَنْ انضافَ إليها، فلحق حِلّة "بني نمير" ورئيسها "مُمَاغِثٌ"، فاحتوى عليها؛ فخرجت إليه ابنة "مماغثٍ" مُسْفِرَةً، حافيةً، كالشّمسِ الطّالعة وانكبّت على مسابر الأمير سيف الدّولة فَصفَحَ لها عن الحلّة وأمر بِردِّ ما أَخَذَ" فكتب إليه أبو فراسٍ يداعبه..."[34].

يستنتج من هذا النّقل أنّ القصيدة قائمة على سياق قصصيّ، أي: سرد شعريّ قائم على سياق شعريّ قصصيّ، ويسمو الحمدانيّ في كثير من قصائد إلى جعل السّرد مؤطِّرًا لتجربته الشّعريّة، كما هو الحال في القصيدة الّتي يصف فيها قلقه وحزنه يوم مقتله، وكأنّه ينعى نفسه:

أَبُنَيَّتِي، لا تَجْزَعِي كُلُّ الأَنامِ إلى ذَهابِ

نُوحِي عَلَيَّ بِعَبْرَةٍ ما بينَ سِتْرِكِ وَالحِجابِ

قُولِي إذا نَادَيْتِني وَعَيِيْتُ عَنْ رَدِّ الجَوابِ:

زَيْنُ الشَّبابِ "أَبو فِرا سٍ"، لَمْ يُمَتَّعْ بِالشَّبَابِ! [35].

إنّه يخاطب ابنته بأسلوب شعريّ قصصيّ، ويقيم مقطوعته على هذا الأسلوب، مشكّلًا – بوساطة القصد السّرديّ – حوارًا بينه وبين ابنته امرأة "أبي العشائر"، إنّها مُباشرة سرديّة – إن صحّ التّعبير – غير قائمة على استرجاع ولا استباق؛ إذ تسير الحبكة هنا بطريقة سلسة وسهلة

جدًا دون تعقيد – وهذا لا يمثّل مطعنة في النّصّ – فالخطاب الحكائيّ الذي قصده الحمدانيّ هو خطاب سرديّ سلس، وهذا يقود إلى إدراك الدّور الذي يلعبه السّرد في تشكيل خيوط البنية الكبرى للنّصّ، واللافت هنا كيفية تداخل الحسّ الانفعاليّ العاطفيّ مع تقنية السّرد، وخروج القصيدة إلى إطارها القصصيّ، ويؤكّد هذا ما ذكر قبل القصيدة، يقول محقّق الدّيوان: "وبلغني أن "أبا فراس" أصبح يوم مقتله، حزينًا، كئيبًا، وكان قد قلق تلك الليلة، قلقًا عظيمًا، فرأته ابنته امرأة "أبي العشائر" كذلك؛ فأحزنها حزنًا شديدًا، ثُمَّ بكت، وهو على تلك الحالة، فأنشأ يقول، ورِجْله في الرّكاب، والخادم يضبط السّير عليها، وإنّما قال ذلك؛ كالّذي ينْعى نفسَه، وإنْ لَمْ يقصدْ ذلك..."[36].

وممّا سما به الحمدانيّ في تأطير تجربته الشّعريّة سرديًّا قوله معاتبًا سيف الدولة، ومدافعًا عن نفسه أمامه:

أَسَيْفَ العِدَى، وَقَرِيعَ العَرَبْ ... علامَ الجفاءُ وفيمَ الغضبْ؟

وَمَا بَالُ كُتْبِكَ قد أصْبَحَتْ ... تنكّبني معَ هذي النكبْ

وَأنْتَ الكَرِيمُ، وَأنْتَ الحَلِيمُ، ... وأنْتَ العَطُوفُ، وأنْتَ الحَدِبْ

وما زلتَ تسبقني بالجميلِ ... و تنزلني بالجَنابِ الخَصِبْ

وَتَدْفَعُ عَن حَوْزَتيّ الخُطُوبَ، ... وَتَكْشِفُ عَنْ نَاظِرَيّ الكُرَبْ

وإنكَ للجبلُ المشمخ ... رّ لي بَلْ لِقَوْمِكَ بَل للعَرَبْ

عُلًى تَسْتَفَادُ، وَمَالٌ يُفَادُ، ... وَعِزٌّ يُشَادُ، وَنُعْمَى تُرَبْ

وما غضّ منيَ هذا الإسارُ ... ولكنْ خلصتُ خلوصَ الذّهبْ

فَفِيمَ يُقَرّعُني بالخُمُو ... لِ مَوْلًى بـه نِلتُ أعلى الرّتَبْ؟

وَكانَ عَتِيدًا لَدَيّ الجَوَابُ، ... وَلَكِنْ لِهَيْبَتِهِ لَمْ أُجِبْ

فَأشْكُرُ ما كنتُ في ضَجْرَتي، ... وأنّي عتبتكَ فيمنْ عتبْ!

فَألّا رَجَعْـــــــــتَ فَأعْتَبْتَني، وَصَيّـــــــرْتَ لي وَلِقَوْلي الغَلَبْ!

فلا تنـــــــــسبنَّ إليَّ الخمولَ أقمتُ عليـــــــــكَ فلمْ أغتربْ

وأصْبَحْتُ مِنكَ فإنْ كان فضْلٌ وَبَيْني وَبَيْـــــــــنَكَ فوق النّسَبْ!

ومـــا شككتنيَ فيكَ الخطوبُ ولا غيَّرتنـــــيَ فيكَ النُّـــــــوَبْ

وأسـكنُ ما كنتُ في ضجرتي وَأحْلَمُ مَا كُنْتُ عِنْدَ الغَضَبْ[37]

فهو في هذه القصيدة يعاتب ابن عمّه بكلام مرير يحمل ألمًا كبيرًا، ويستثمر فيه البعد السّرديّ أيّما استثمار، فيوظّف العناصر السّرديّة متمثّلة بالحوار والقصّ، والمفارقة، ومحرّكات المواقف السّرديّة، مثل: رغبته في نفي ما التصق به من تهم؛ نحو قوله: "وما بال..."، و"وأنت الكريم..."، و"وما زلت..."، و"وتدفع..."، و"وتكشف..."، و"وفأشكر..."، و"فألّا..."؛ فهو يستثمر الأساليب اللغويّة بوصفها محرّكات لتقنيات ربط سرديّة، وهو يتابع قائلًا:

وَإنّ خُرَاسَانَ إنْ أنْكـــــــــرَتْ علُايَ فقدْ عرفتـــــــــها "حَلَبْ"

وَمِنْ أينَ يُنْـــكِرُني الأبْعَدُونَ أمنْ نقصِ جَدٍّ أمنْ نقصِ أبْ؟!

أَلَسْـــــــــتُ وَإيّاكَ مِنْ أُسْـرَةٍ، وبيني وبينـــــــكَ قربُ النسبْ!

وَدارٍ تَنَاسَـــــــــبُ فِيهِ الكِرَامُ، وتربيـــــــةٍ ومحلٍّ أشـــــــبْ!

ونفـــــــسٍ تكبّرُ إلا علـــــيكَ وَتَرْغَبُ إلاّكَ عَمـــــــــنْ رَغِبْ!

فَلا تَعْدِلَـــــنّ، فِدَاكَ ابنُ عَمّـ ـكَ لا بلْ غلامكَ - عمًا يجبْ

وأنصـــــــفْ فتاكَ فإنصافهُ منَ الفضلِ والشّرفِ المكتسبْ

وَكُنْتَ الحَبِيبَ وَكُنْتَ القَرِيبَ لياليَ أدعوكَ منْ عنْ كـــــثبْ

فلمّا ابـــــــتعدتُ بدتْ جفوةٌ ولاحَ منْ الأمرِ ما لا أحـــــبْ

فلوْ لمْ أكنْ بكَ ذا خـــــــبرةٍ لقلتُ: صديقكَ منْ لمْ يـــــغبْ[38]

يلحظ في هذه المقطوعة الشّعريّة تعانق الفكرة الانفعاليّة مع المكان والإنسان ولغة الإنسان، وفي هذا تعزيز لمسألة الدّور الأساسيّ للسّرد - بوصفه حاضنًا لتقنيات ربط – في تنظيم الفكر النّصّيّ والبناء الكلّيّ له، ويمكن للقارئ هنا أن يلحظ كيفيّة تقريب الحوار للمعاني الوجدانيّة، رغم تباعد طرائق التفكير عند الإنسان. لاحظ كيف يفكّر سيف الدّولة الحمدانيّ، وكيف يفكّر أبو فراس؟ حقًّا إنّ أبا فراس يعتصره الألم، أمّا سيف الدّولة فالأمور عنده بمنتهى الاعتياديّة، وقوله: "فلا تعدلنّ، فداك ابن عمّك، لا بل غلامك" فيه ما فيه من التّواضع والألم وتقدير القرابة. ولولا معرفة أبي فراس بطبيعة سيف الدّولة لتأكّدت له حقيقة أنّ صديقه من لم يغب. وهناك شواهد ونماذج كثيرة تثبت أثر السّرد في السّمو بالتّجربة الشّعريّة، وبناء النّصّ الشّعريّ، ولكنّ الغرض هو التّمثيل لا الحصر.

ثانيًا: السّرد واستحضار العلاقات الظّاهرة والباطنة:

انصبّ جهد علماء لغة النّصّ ونحوه على مسالة تقنيات الرّبط أو الاتّساق النّصّيّ الظّاهرة والباطنة بصورة واضحة، وقد جعلوا التّقنيات الظّاهرة معتمدة على عناصر الوصل والتّكرار والإحالة، كما أشرنا، وبعض صور العلاقات السّببيّة الظّاهرة، وهنا تكمن العلاقة بين السّرد وبين هذه التّقنيات، إنّها علاقة التّكامل والتّكوين، وتفصيل ذلك وبيانه في ما يأتي:

السّارد يعمل على سرد الأحداث والأفعال موظّفًا العناصر اللسانيّة النّصّيّة الظّاهرة جميعها، وهذا ما فعله الحمدانيّ، إذ وظّف العناصر جميعها في بناء نصّه الشّعريّ؛ فالعناصر السّرديّة تشكّل النّصّ موظفةً التّقنيات اللسانيّة الرّابطة الظّاهرة في الكلّ الشّعريّ، وفي الوقت نفسه تجد أنّ تتابع هذه العناصر الرّابطة يؤدّي إلى تشكيل الكلّ السّرديّ، فالعلاقة تكامليّة، إذ السّرد يستحضر التّقنيةَ الرّابطةَ، والتّقنيةُ الرّابطةُ تستحضر بعضَ العناصر السّرديّة. ويعمد الحمدانيّ في قصائده إلى استثمار تقنية السّرد في بناء نصّه الشّعريّ موظّفًا التّقنيات الاتّساقيّة اللسانيّة الظّاهرة والباطنة، ويظهر ذلك في جلّ قصائده، ومقطوعاته؛ يقول في مقطوعة له:

قامَتْ إلى جارَتِها تَشْكُو بِذُلٍّ وشجا

أَما تَرَيْنَ ذا الفَتى مَرَّ بنَا ما عَرَّجا

إنْ كانَ ما ذاقَ الهَوى فَلا نَجَوْتُ إنْ نَجَا[39].

تشتمل هذه المقطوعة على السّرد المنظوم أو المُشَعْرَن، وتقنية (الإجمال والتّفصيل)، أو ما اصطُلح على تسميته عند علماء لغة النّصّ بالتّوازي الذّرويّ[40]، ثمّ العلاقات السّببيّة[41]. واجتماع هذه المسرودات التّقنيّة الاتّساقيّة ليس عشوائيًّا، بل هو مقصود؛ فهو يقيم المقطوعة كاملة عليه، إذ قامت إلى جارتها تشكو، تشكو ماذا؟ إنّها تشكو ما فعله الفتى؛ محاولة إيجاد مسوِّغ لهذا السلوك، فإن كان ما ذاق الهوى فلا توجد نجاة إن نجا...!!! إذًا ثمّة نزوع سرديّ تضمّن إجمالًا وتفصيلًا، أي: تضمّن توازيًا محدّدًا، ثمّ علاقات سببيّة؛ هذا على مستوى المقطوعة، أمّا على مستوى القصيدة، فنجد تنوّعًا واضحًا في استعمال السّرد التّقنيّ، أو السّرد لأجل التّقنيات، والتّقنيات لأجل التّمام السّرديّ؛ يقول في قصيدة يجيب فيها أبا أحمد عبد الله بن وَرْقاء الشّيبانيّ في العراق:

يقولُ صَحابَتِي والليلُ داجٍ وقدْ هَبَّتْ لَنا رِيْحُ الصَّباحِ:

لَقَدْ أَخَذَ السُّرَى وَالسَّيْرُ مِنّا فَهَلْ لَكَ أَنْ تُرِيْحَ بِجَوِّ راحِ؟

فَقُلتُ لَهُمْ عَلى كُرْهٍ: أريحوا! وَفي الذِّمّلانِ رَوْحِي وارْتِياحِي

إرادَةَ أَنْ يُقَالَ "أَبو فِراسٍ"، عَلى الأَصْحابِ، مَأْمونُ الجِماحِ[42].

يقيم الشّاعر هذا المقطع على مبدأ القوليّة الحواريّة: "يقول:..... فقلت لهم:...." ولا شكّ أنّ هذا المبدأ[43] هو مبدأ سرديّ يحمل أبعادًا تفصيليّة خاصّة بتجربته، وهذا المبدأ يتضمّن أدوات الاتّساق المتمثّلة في الدّخول في تفصيلاتِ ما تمّ إجماله. ثمّ هذه الأقوال هي مسبِّبات لما سيأتي بعدها من كلام، فهناك علاقات سببيّة أيضًا، يضاف إلى ذلك رغبته في ذكر العلل، أي: ذكر علّة اختياره للذِّمّلان، وهو إرادة أن يقال: ("أبو فراس" على الأصحابِ مأمونُ الجِماحِ)، وفي هذا نزوع واضح نحو التّكامل في استثمار تقنيات السّرد في البناء التّكامليّ للنّصّ، يضاف إلى ذلك تضمّن سلسلة المسرودات إحالاتٍ نصّيّةً مختلفةً تسعى إلى اختصار العناصر الإشاريّة، وتجنّب مستعملها إعادتها وتكرارها"[44].

ويعمل النّزوع السّرديّ على توليد تقنية التّكرار الهادف عند الحمدانيّ؛ يقول في قصيدة كتبها لسيف الدّولة يسأله المفاداة به:

دَعَوْتُكَ لِلْجَفْنِ القَرِيحِ المُسَهَّدِ لَدَيَّ، وَلِلنَّوْمِ القَلِيلِ المُشَرَّدِ

وَما ذاكَ بُخْلًا بالحَياةِ، وإنّها لِأوّلِ مبذولٍ، لِأوّلِ مُجْتَدِ

ولا زَلَّ عَنِّي أَنَّ شخصًا، معرَّضًـا لِنَبْلِ العِدا؛ إنْ لمْ يُصَبْ؛ فكأنْ قَدِ

ولكنّني أَختارُ مَوْتَ بَـنِي أَبِي على سَرَواتِ الخَيْلِ غيرَ مُوَسَّـدِ

وَآبَـى وَتَأْبَى أَنْ أَموتَ مُسَهَّدًا بأَيْدِي النّصارَى مَوْتَ أَكْمَدَ أَكْبَدِ[45].

لا مشاحّة في أن السّرد هنا يولّد التّكرار الهادف[46] الذي يبين صدق انفعال الشّاعر، فتكرار (ما) جاء نتيجة لمرارة المعاناة في الأسر، ودفع كلّ ما يمكن أن يعرّض الشّاعر للذمّ، كما أنّ استمراره في أسلوب النّفي يظهر جَلَدَه وصبرَه وإصراره على الموت على صهوات الخيل؛ لأنّ سيف الدّولة، وكذلك الشّاعر، يأبى أن يموت شاعرنا بأيدي النّصارى في كبد وكمد. والطّريف في الأمر أنّ الحمدانيّ تسير قصائده نحو السّرد، فنزوعها سرديّ ينأى عن الغنائيّة في كثير من المواقف، رغم أنّ ما يميّز النّثر هو النّزوع السّرديّ. أما الشعر فنزوعه غنائيّ[47].

ويتابع النّزوع السّرديّ في القصيدة نفسها قائلًا:

متى تُخْلِفُ الأيّام مِثْلي لَكُمْ فتًى شديدًا على الضرّاءِ غيرَ مُلَهَّدِ

وَلا وَأَبِي ما ساعِدانِ كَساعِدٍ وَلا وَأَبِي ما سَيِّدانِ كَسَيِّدِ

وَلا وَأَبِي ما يَفْتِقُ الدّهْرُ جَانِبًا فَيَرْتُقُهُ إلّا بأَمْرٍ مُسَدَّدِ

وَإِنَّكَ لَلمَوْلى الذي بِكَ أَقْتدي وَإِنَّكَ للنَّجْمُ الذي بِكَ أَهْتدي

وأنتَ الذي عرّفْتَني طُرُقَ العُلا وأَنتَ الذي هَدَيْتَني كُلَّ مَقْصَدِ

وأنتَ الذي بلَّغْتَني كُلَّ رُتْبَةٍ مَشَيْتُ إليها فَوْقَ أَعْناقِ حُسَّدِي[48].

يلحظ في هذه الأبيات أنّه لا يتولّد من السّرد التّكرارُ الهادفُ والعلاقاتُ السّببيّةُ وحسب، بل الوصل أيضًا المتمثّل في تكرار الواو، وبذلك يكون النّزوع السّرديّ قد عمل على استدعاء تقنيات

الرّبط وتفعيلها وتعميقها؛ ما جعل منه، هو الآخر، تقنية ربط بحدّ ذاته، ومن هنا دخل السّرد مع القصد الشّعريّ في علاقة تكامليّة، وهو ما يذكّرنا بقول جان كوكتو إنّ "الفنّ ليس طريقة معقّدة لقول أشياء بسيطة، بل طريقة بسيطة لقول أشياء معقّدة"[49]. نعم، إنّه طريقة بسيطة لقول أشياء معقّدة، تُستثمر فيها كلُّ إمكانات اللغة وطاقاتُها التّعبيريّة، ولعلّ ما يسترعي النّظر هنا أنّ الشّاعر يعمد بوساطة التّعالقات بين النّزوع السّرديّ والاتّساق التّقنيّ أو التّقنيات الاتّساقية إلى التّحكم بحركة القصّ، فهو – كما يلحظ – يعمد على تقليص الجانب الزّمنيّ، بل اختزاله في إيقاعات انفعاليّة سريعة، فرغم أنّ "اللغة تبطّئ" حركة القصّ"[50]. إلّا أنّ الشّاعر عمد هنا إلى جعل اللغة السّرديّة مقلّصة لحركة السّرد، ممّا دفع إلى جعل السّرد يسير بصورة متناغمة مع الطّاقات والإمكانات اللسانيّة البنائيّة في القصيدة، وربّما هذا التّناغم هو ما جعل من قصائد أبي فراس الحمدانيّ أعمالًا ذات شعريّة، أو أدبيّة، عالية جدًّا، وهذا يبيّن دقّة ما ذهب إليه سعيد يقطين حينما قال: "تندرج "السّرديّات" باعتبارها اختصاصًا جزئيًّا يهتم بـ "سردية" الخطاب السّرديّ، ضمن علم كلّيّ هو البويطيقيا الّتي تُعنى بـ "أدبيّة" الخطاب الأدبيّ بوجه عامّ، وهي بذلك تقترن بالشّعريّات الّتي تبحث في "شِعريّة" الخطاب الشّعريّ"[51]. فكثير من قصائد الحمدانيّ إذا تمّ تطبيق مبادئ الشّعريّة العربيّة عليها لا يمكن أن تُعدّ إلّا ضربًا من النّثر المكثّف.

والمتتبّع لشعر الحمدانيّ يجد أنّ النّزوع السّرديّ في كثير من المواطن يتجاوز الوقوف على سلسلة العلاقات السّطحيّة بين سلسلة المسرودات، إلى الوقوف على العمق التّعالقيّ للمسرودات؛ أي أنّ السّرد يحتضن التّعالقات السّرديّة الباطنة (غير الملفوظة) للنّصّ، بمعنى أنّ السّرد يعزّز مسألة التّصوّر والتّأويلات التّصوّريّة المرتبطة بالبنية الكبرى للنّصّ، وهنا السّرد يعزّز مبدأ التّعالق الملحوظ (المتصوَّر)، وبخاصّة حينما يحتضن السّرد سلسلة من الملفوظات التي تتضمّن سلسلة من المسنَدات المتشابهة عبر البنية النّصّيّة، تلك الّتي تدور حول فكرة واحدة، ولا شكّ أنّ هذا يمثّل نمطًا من أنماط العلاقات النّصّيّة الأساسيّة[52]، وهي علاقات إجباريّة وليست اختياريّة[53]، وهذا يعني أنّ هذه العلاقات تمثّل ركنًا مهمًّا في العمليّة البنائيّة للنّصّ، من دونها لا يكون النّصّ نصًّا. ولعلّ قصيدة أبي فراس الحمدانيّ الرّائيّة الّتي يذكر فيها أيّام أسلافه وآبائه وأعمامه وأهله والأقربين في الإسلام دون الجاهليّة، لأنّ فضل الخلف ما زاد على ما توارث السّلف؛ لعلّها أفضل شاهد على ذلك، ويذكر ابن خالويه أنّ أبا فراس قد قال: "أيام أسلافي، ومفاخر آبائي وأجدادي، أكثر من أن يجمعها شعري، فقد اضطررتُ إلى ذكر الوقائع المشهورة والعساكر الجامعة، فلم أذكر من الوقائع إلا ما كان بقبائل بأسرها، فلو عدّدت ما عدّدتِ العرب أمثاله، مثل: يوم "رَحْرَحان"، ويوم "فيف الرّيح"، ويوم "شِعب جَبَلَة" لعدّدت ما لا تَسعه الكتب فاقتصرتُ على ما ذكرْتُ والفضلُ مشترك"[54].

والقصيدة تقوم على السّرد التّصوّريّ، إذ يحتضن السّرد سلسلة العلاقات التّصوّريّة، فهي ذِكرٌ متتابعٌ للأحداث والوقائع وأيّام أسلافه، ويبدأ القصيدة بذكر المرأة قائلًا:

لَعَلَّ خَيالَ العامِرِيَّةِ زائِرُ فَيُسعَدَ مَهجورٌ وَيُسعَدَ هاجِرُ

وَإِنّي عَلى طولِ الشِّماسِ عَنِ الصِّبا أَحِنُّ وَتُصْبِيني إِلَيكِ الجَآذِرُ

وَفي كِلَّتَي ذاتِ الخِباءِ خَريدَةٌ لَها مِن طِعانِ الدارِعينَ سَتائِرُ

تَقولُ إِذا ما جِئتُها مُتَدَرِّعًا أَزائِرُ شَوقٍ أَنتَ أَمْ أَنتَ ثائِرُ[55].

ثم بعد ذكر المرأة يبدأ بتعداد الأمجاد والتّفاخر بها، ويذكر الوقائع قائلًا:

أَيَا رَاكِباً تُحَدَى بِأَعْوادِ رَحْلِهِ عُذافِرَةٌ عَيْرانَةٌ وعُذافِرُ

أَلِكْنِي إِلى أَفْناءِ "بَكْرٍ" رِسالَةً عَلَى نَأْيِها وَهِيَ القَوافِي السَّوائِرُ

لَئِنْ بَاعَدَتْكُمْ نِيَّةٌ طالَ شَطْحُها لَقَدْ قَرَّبَتْكُمْ نِيَّةٌ وضَمائِرُ

فَقُلْ لِبَني "وَرْقاءَ" إِنْ شَطَّ مَنْزِلٌ فَلَا الْعَهْدُ مَنْسِيٌّ وَلا الْوُدُّ داثِرُ

وَكَيْفَ يَرِثُّ الْحَبْلُ أَوْ تَضْعُفُ الْقُوى وَقَدْ قَرُبَتْ قُرْبَى وَشُدَّتْ أَوَاصِرُ

أَيَشْغَلُكُمْ وَصْفُ الْقَديمِ وَدونَهُ مَفاخِرُ فيها شاغِلٌ وَمَآثِرُ

لَنا أَوَّلٌ فِيْ الْمَكْرُماتِ وَآخِرٌ وَباطِنُ مَجْدٍ تَغْلِبِيٍّ وَظاهِرُ

أَنا"الْحَارِثُ" الْمُخْتارُ مِنْ نَسْلِ "حارِثٍ" إِذَا لَمْ يَسُدْ في الْقَوْمِ إِلَّا الْأَخايِرُ

فَجَدِّي الَّذي لَمَّ الْعَشِيرَةَ جُوْدُهُ وَقَدْ طارَ فيها بِالتَّفَرُّقِ طائِرُ[56].

إلى آخر القصيدة الزّاخرة بالإشارات التّاريخيّة الّتي تدفع إلى سلسلة من التّصوّرات المترابطة بفعل التّقنين السّرديّ لسلسلة المسرودات؛ فأبناءُ ورقا ووائل، وأبو أحمدَ والحارثُ وجدُّ الشّاعر وعمّه، والوزير وفاتك وتميم وبكر، كلّ ذلك يشكّل عناصر سرديّة تدعو إلى تصوّر سلسلة من العلاقات والتّرابطات بين هذه المسرودات من جهة، ودلالاتها التّصوّريّة من جهة أخرى، ويمكن وصف هذه الشّخصيات والأحداث المرتبطة بها بأعمدة مشكّلة لجسم النّصّ، وهذه الأعمدة قويّة ومتينة، تمنح القصيدة قوّة وجَودة. ولعلّ ما يعطي هذه الأعمدة القوّة هو التّشابه في طبيعة العمل الّذي تقوم به هذه الشّخصيّات؛ إنّه عمل بطوليّ تفاخريّ بامتياز.

خاتمة:

وبعد؛ فقد يطول الحديث، ولكنّ القصد هو التّمثيل لا الحصر، فهناك أمثلة كثيرة وشواهد ناصعة تدلّل على الفعاليّة الإنتاجيّة والبنائيّة للمكوّنات السّرديّة في البناء الاتّساقيّ للنّصّ. وفي نهاية هذه الرّحلة مع السّرد وعناصره وحركيّته في الشّعر، يمكن الخلوص إلى النّتائج الآتية:

أوّلًا: لعب السّرد دورًا مهمًّا في بناء شبكة العلاقات الاتّساقيّة في النّصّ الشّعريّ الحمدانيّ، وهذا يدلّل على عمق العلاقة بين القصد السّرديّ وشبكة العلاقات المنجزة فعلًا.

ثانيًا: ارتبط السّرد بالبنية النّصّيّة برابط تفاعليّ تكامليّ، فهو يبدع تقنياتٍ، ثمّ هو يتضمّنها، وهذا ما يجعل النّصّ الشّعريّ الحمدانيّ نصًّا غنيًّا ومترابطًا.

ثالثًا: شكّل السّرد بالنّسبة للحمدانيّ مشروعًا تمّ تنفيذه بوساطة مجموعة من البرامج التّقنية والتّعبيريّة، وقد شكّل بالنّسبة لهذه البرامج أداة فاعلة.

رابعًا: شكّل المكوّن السّرديّ عنصرًا ديناميًّا له فعاليّته الكبرى في الاتّساق على جميع المستويات التي تحملها بنيتا النّصّ الشّعريّ: الكبرى والصّغرى.

خامسًا: شكّل السّرد في قصائد الحمدانيّ حاضنًا ومولّدًا لسلاسل التّقنيات البنائيّة المتواترة عبر النّصّ، وهو بهذا أثّر في الكلّ النّصّيّ وفي استحضار العلاقات الظّاهرة والباطنة.

The Efficiency of the Narrative Component in the Linguistic Coherence of a Text: Selected Poems by Abu Firas Al-Hamdanias as a Model

Abdelmuhdi Hashim Al-Jarrah, *Department of Human Sciences, Faculty of Science and Arts, Jordan University of Science and Technology, Irbid, Jordan.*

Khalid Qasim Bani Domi, *Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

The present paper aims at investigating the functional and structural aspects of the narrative component in maintaining coherence of the poetic text. Some selected poems by Abu Firas Al-Hamdani have been taken as case studies. This paper deals with narration and narrative scheme as used in poetry. Then, the article studies some tools used in implementing textual narrative scheme linguistically. It concludes that the narrative has an efficient role in building coherent networks of relations in the poetic text; the narrative used in the text is efficiently and wholly connected to the textual structure as it introduces and integrates the techniques.

Keywords: Efficiency, Narrative Component, Coherence, Abu Firas Al-Hamdani, Linguistics.

الهوامش

(1) Emmott, Catherine. Narrative Comprehension: A Discourse Perspective, Clarendon Press, Oxford,1997,p 107.

(2) انظر: بحيري، سعيد: علم لغة النّصّ المفاهيم والاتّجاهات، مكتبة لبنان ناشرون، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر - لونجمان، ط1، 1997م، ص ص 133 – 134. وانظر كذلك: دي بوجراند، روبرت: النّصّ والخطاب والإجراء، ترجمة: تمّام حسّان، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1998م، ص299، ويمكن النّظر في ما كتبه فان دايك:

Van Dijk, Teun (A) & Kintsch, Walter. Strategies of Discourse Comprehension, Academic Press. Subsidiary of Harcourt Brace Jovanovich, 1983, pp. 6-11.

(3) بحيري، سعيد: علم لغة النّصّ، مرجع سبق ذكره، ص 108.

(4) كردي، عبد الرّحيم: السّرد في الرّواية المعاصرة، القاهرة، دار الثّقافة للطّباعة والنّشر، (د.ت)، ص11.

(5) إسماعيل، عزّ الدّين: الشّعر العربيّ المعاصر قضاياه وظواهره الفنّيّة والمعنويّة، بيروت، دار الثّقافة، ص300.

(6) إيكو، أمبرتو: التّأويل بين السّيميائيّات والتّفكيكيّة، ترجمة: سعيد بنكراد، الدّار البيضاء، المركز الثّقافيّ العربيّ، ط1، 2000م، ص42.

(7) See: Julirn Greimas: Semiotique Structures, ed, larousse, paris, 1996, p. 26.

(8) ابن خالويه، مصدر سابق، ص23.

(9) انظر: بارت، رولان: النّقد البنيويّ للحكاية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، (د.ت)، ص89.

(10) بوخاتم، مولاي: مصطلحات النّقد العربيّ السّيميائيّ الإشكاليّة والامتداد، دمشق، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، 2005م، ص252.

(11) See: Wolfgang, Iser: Indeterminacy and The Reader's Response, K. M. Newton, Twentieth - Century Literary Theory, London, Macmillan, 1989, p. 227.

(12) انظر: العيد، يمنى: الرّاوي والموقع، بيروت: مؤسّسة الأبحاث، (د.ت)، ص125.

(13) See: de Beaugrande & Dressler: Introduction to Text Linguistics, Longman, London, 1981, p. 3.

(14) انظر: دي بوجراند، روبرت: النّصّ والخطاب والإجراء، مرجع سابق، ص103.

(15) انظر: المرجع نفسه، ص103، وانظر كذلك: Van Dijk & Kintsch: Strategies, p. 150.

(16) المكوّن السّرديّ هو جميع تفرّعات النّظام السّرديّ وعناصره، إنّه أيُّ عنصرٍ من عناصر النّظام السّرديّ الّذي تظهر فعاليّته في البناء النّصّيّ، سواء كان فيما يقبع خلف الألفاظ أو فيما تظهره الألفاظ نفسها من تعالقات، وقد بحث بارت ذلك مؤكّدًا أنّ هذا يظهر في مستويات المعاني والمكوّنات اللغويّة والقواعديّة والصّوتيّة والسّيميائيّة للنّصّ.

See: Barthes, Roland: An Introduction to the Structural Analysis of Narrative, retrived from webpage: htt://www.jstor.org.dec,2006.

(17) See: Van Dijk, Teun (A): Macrostructures, An Interdisciplinary Study of Global Structure in Discourse, Interaction, and Cognition, Lawrence Erlbaum Associates, Inc., Pub, Hillsdale, New jersey, p. 45 &p. 65.

(18) انظر: فان دايك: علم النّصّ مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة: سعيد حسن بحيري، القاهرة، دار الكتب، ط1، 1421هـ، 2001م، ص75.

(19) See: Van Dijk, Tenn (A): Macrostructures, p. 46. وانظر كذلك: خطّابي، محمّد: لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، بيروت، المركز الثّقافيّ العربيّ، 1991م، ص15.

(20) انظر: فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النّصّ، الكويت، عالم المعرفة، ص234.

(21) المرجع نفسه، ص236.

(22) انظر: فضل، صلاح: مرجع سابق، ص241، وانظر كذلك: فان دايك: النّصّ بنى ووظائف مدخل أوّليّ إلى علم النّصّ، ضمن كتاب العلاماتيّة وعلم النّصّ، ترجمة: منذر عيّاشي، الدّار البيضاء، المركز الثّقافيّ العربيّ، 2004م، ص154.

23) وادي، طه: المدخل لدراسة الفنون الأدبيّة واللغويّة، قطر، دار الثّقافة للطّباعة والتّوزيع، ط1، 1987م، ص75.

(24) انظر: جنيت، جيرار: خطاب الحكاية، ترجمة: محمّد معتصم وآخرون، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997، ص ص 130 – 131.

(25) الرّويلي، ميجان، والبازعي، سعد: دليل النّاقد الأدبيّ، الدّار البيضاء، المركز الثّقافيّ العربيّ، ط4، 2005م، ص 174.

(26) انظر: العجيمي، محمّد النّاصر: في الخطاب السّرديّ نظريّة قريماس، تونس، الدّار العربيّة للكتاب، 1991م، ص31.

(27) يشير روبرت دي بوجراند إلى أنّ النّزوع السّرديّ يتضمّن ترابطات نصيّة متعاقبة، وظهر هذا في كثير من أعماله المنشورة، وركّز على ترابط الأطر والمشروعات، انظر: النّصّ والخطاب والإجراء، مرجع سابق، ص ص 340 – 354.

(28) العيد، يمنى: مرجع سابق، ص125.

(29) See: Mandler, Jean Matter: Stories, Scripts, and Scenes: Aspects of Schema Theory. Hillsdaler's Lawrence Erlbaum, 1984, p. 211.

(30) Yiannis Gabriel: Storytelling in Organization: Facts Fictions and Fantasies, Oxford. Oxford University Press Georgy Schreyögg & John Koch, p. 17.

(31) See: Schreyögg, George and Jochen Koch Knowledge Management and Narrative: Organizational Effectiveness Through Storytelling, Erich Schmidt Verlag, Berlin 2006, p. 225.

(32) ابن خالويه: مرجع سابق، ص217.

(33) المرجع نفسه، ص 218.

(34) الحمدانيّ، أبو فراس: ديوان أبي فراس الحمدانيّ، شرح: خليل الدّويهي، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ط2، 1414ه – 1994م، ص 27.

(35) ابن خالويه، مرجع سابق، ص 355.

(36) الحمدانيّ، أبو فراس: ديوان أبي فراس الحمدانيّ، شرح: خليل الدويهي، ص 59.

(37) المصدر نفسه، ص ص 24-25.

(38) المصدر نفسه، ص ص 25-26.

(39) المصدر نفسه، ص 347.

(40) التّوازي هو التّشابه الحاصل بين الوحدات التّركيبيّة، والموازاة هي الّتي تربط الأبيات وتمنحها الانجسام والتّكامل، انظر: ياكوبسون، رومان: أفكار وآراء حول اللسانيّات والأدب، بغداد، دار الشّؤون الثّقافية العامّة، 1987م، ص105، والتّوازي الذّرويّ هو عدم تمام فكرة إلّا بأخرى، انظر: عريف، محمّد خضر: (الخطاب العربيّ: سماته وخصائصه)، في عبد الخالق، غسّان (محرّرًا): تحليل الخطاب العربيّ (بحوث مختارة)، المؤتمر العلميّ الثّالث لكليّة الآداب، جامعة فيلادلفيا، الأردنّ، 1997، ص47.

(41) See: Copley, Bridget & Martin, Fabienne. Grammatical Structures, Oxford University Press, First Eddition, 2014, p. 6.

(42) ابن خالويه، مرجع سابق، ص 91.

(43) حول الحوار ووظائفه انظر: مورجان، تشارلز: الكاتب وعالمه، ترجمة: شكري عيّاد، سلسلة الألف كتاب (500) القاهرة، 1977م، ص66، وكذلك: قبّاني، حسين: فنّ كتابة القصّة، عمّان، مكتبة المحتسب، ط2، 1974، ص95.

(44) الزّنّاد، الأزهر: نسيج النّصّ، بحث في ما يكون به الملفوظ نصًّا، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، الدّار البيضاء، ط1، 1993م، ص121.

(45) ابن خالويه، مرجع سابق، ص108، 109.

(46) لا بدّ من التّمييز بين نوعين من التّكرار: الهادف وغير الهادف.

(47) انظر: صالح، صلاح: سرد الآخر: الأنا والآخر عبر اللغة السّرديّة، الدّار البيضاء، المركز الثّقافيّ العربيّ، ط1، 2003م، ص42.

(48) ابن خالويه، مرجع سابق، ص 111، 112.

(49) قبّاني، نزار: الأعمال الشّعريّة الكاملة سيبقى الحبّ سيّدي، الكتاب العشرون، بيروت، دار التّكوين، 1987م، ص291.

(50) إبراهيم، نبيلة: نقد الرّواية من وجهة نظر الدّراسات اللغويّة الحديثة، مصر، 1980، ص43.

(51) يقطين، سعيد: الكلام والخبر مقدّمة للسّرد العربيّ، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء، ط1، 1997م، ص23.

(52) See: Longacre Robert (E): The Grammar of Discourse, N.Y. Plenum Press, 1983, pp. 82 – 83.

(53) See: Crombie Winifred: Process and Relation in Discourse and Language Learning, Oxford University Press, 1986, pp. 23 – 24.

(54) الحمدانيّ، أبو فراس: ديوان أبي فراس الحمدانيّ، شرح: خليل الدويهي، ص 124.

(55) ابن خالويه، مرجع سابق، ص 22.

(56) ابن خالويه، مرجع سابق، ص 27، 28.

المصادر والمراجع العربيّة:

إبراهيم، نبيلة: **نقد الرّواية من وجهة نظر الدّراسات اللغويّة الحديثة**، مصر، 1980.

إسماعيل، عزّ الدّين: **الشّعر العربيّ المعاصر قضاياه وظواهره الفنّيّة والمعنويّة**، بيروت، دار الثّقافة.

إيكو، أمبرتو: **التّأويل بين السّيميائيّات والتّفكيكيّة**، ترجمة: سعيد بنكراد، الدّار البيضاء، المركز الثّقافيّ العربيّ، ط1، 2000م.

بارت، رولان: **النّقد البنيويّ للحكاية**، ترجمة: أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، (د.ت).

بحيري، سعيد: **علم لغة النّصّ المفاهيم والاتّجاهات**، مكتبة لبنان ناشرون، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر - لونجمان، ط1، 1997م.

بوخاتم، مولاي: **مصطلحات النّقد العربيّ السّيميائيّ الإشكاليّة والامتداد**، دمشق، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، 2005م.

جنيت، جيرار: **خطاب الحكاية**، ترجمة: محمّد معتصم وآخرون، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر.

الحمدانيّ، أبو فراس: **ديوان أبي فراس الحمدانيّ**، شرح: خليل الدّويهي، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ط2، 1414ه – 1994م.

ابن خالويه، **شرح ديوان أبي فراس الحمدانيّ**، حسب المخطوطة التّونسيّة، إعداد: الدّكتور محمّد بن شريفة، مؤسّسة جائزة عبد العزيز بن سعود البابطين للإبداع الشّعريّ، 2000م.

خطّابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، بيروت، والدار البيضاء، المركز الثّقافيّ العربيّ، 1991م.

دي بوجراند، روبرت: **النّصّ والخطاب والإجراء**، ترجمة: تمّام حسّان، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1998م.

الرّويلي، ميجان، والبازعي، سعد: **دليل النّاقد الأدبيّ**، بيروت، والدّار البيضاء، المركز الثّقافيّ العربيّ، ط4، 2005م.

الزّنّاد، الأزهر: **نسيج النّصّ، بحث في ما يكون به الملفوظ نصًّا**، بيروت، والدّار البيضاء، المركز الثّقافيّ العربيّ، ط1، 1993م.

صالح، صلاح: **سرد الآخر: الأنا والآخر عبر اللغة السّرديّة**، بيروت، والدّار البيضاء، المركز الثّقافيّ العربيّ، ط1، 2003م.

العجمي، محمّد النّاصر: **في الخطاب السّرديّ نظريّة غريماس**، تونس، الدّار العربيّة للكتاب، 1993م.

العيد، يمنى: **الرّاوي والموقع**، بيروت: مؤسّسة الأبحاث، (د.ت).

فان دايك: **علم النّصّ مدخل متداخل الاختصاصات**، ترجمة: سعيد حسن بحيري، القاهرة، دار الكتب، ط1، 2001م.

فان دايك: **النّصّ بنى ووظائف مدخل أوّليّ إلى علم النّصّ**، ترجمة: منذر عيّاشي، ضمن مجموعة: العلاماتيّة وعلم النّصّ، بيروت، والدّار البيضاء، المركز الثّقافيّ العربيّ، 2004م.

فضل، صلاح: **بلاغة الخطاب وعلم النّصّ**، الكويت، عالم المعرفة.

قبّاني، حسين: **فنّ كتابة القصّة**، عمّان، مكتبة المحتسب، ط2، 1974.

قبّاني، نزار: **الأعمال الشّعريّة الكاملة سيبقى الحبّ سيّدي**، الكتاب العشرون، بيروت، دار التّكوين، 1987م.

كردي، عبد الرّحيم: **السّرد في الرّواية المعاصرة**، القاهرة، دار الثّقافة للطّباعة والنّشر، (د.ت).

مورجان، تشارلز: **الكاتب وعالمه**، ترجمة: شكري عيّاد، سلسلة الألف كتاب (500) القاهرة، 1977م.

وادي، طه: **المدخل لدراسة الفنون الأدبيّة واللغويّة**، قطر، دار الثّقافة للطّباعة والتّوزيع، ط1، 1987م.

ياكوبسون، رومان: **أفكار وآراء حول اللسانيّات والأدب**، بغداد، دار الشّؤون الثّقافية العامّة، 1987م.

يقطين، سعيد: **الكلام والخبر مقدّمة للسّرد العربيّ**، بيروت، والدّار البيضاء، المركز الثّقافيّ العربيّ، ط1، 1997م.

البحوث والدّوريّات:

عريف، محمّد خضر: (**الخطاب العربيّ: سماته وخصائصه**)، في عبد الخالق، غسّان (محرّرًا): تحليل الخطاب العربيّ (بحوث مختارة)، المؤتمر العلميّ الثّالث لكلّيّة الآداب، جامعة فيلادلفيا، الأردنّ، 1997.

المراجع الأجنبيّة:

Barthes, Roland: *An Introduction to the Structural Analysis of Narrative*, retrived from webpage: htt://www.jstor.org.dec,2006.

de Beaugrande & Dressler: *Introduction to Text Linguistics*, Longman, London, 1981, p. 3.

Crombie Winifred: *Process and Relation in Discourse and Language Learning*, Oxford University Press, 1986, pp. 23 – 24.

Copley, Bridget & Martin, Fabienne: *Grammatical Structures*, Oxford University Press, First Eddition, 2014, p. 6.

Emmott, Catherine. *Narrative Comprehension: A Discourse Perspective*, Clarendon Press, Oxford,1997, p. 107.

Julian Greimas: *Semiotique Structures*, ed, larousse, paris, 1996, p. 26.

Schreyögg, George and Jochen Koch. *Knowledge Management and Narrative*: *Organizational Effectiveness Through Storytelling*, Erich Schmidt Verlag, Berlin 2006, p. 225.

Longacre Robert (E): *The Grammar of Discourse*, N.Y. Plenum Press, 1983, p.p. 82 – 83.

Mandler, Jean Matter: *Stories, Scripts, and Scenes: Aspects of Schema Theory*. Hillsdaler's Lawrence Erlbaum, 1984, p. 211.

Van Dijk, Teun (A): *Macrostructures, An Interdisciplinary Study of Global Structure in Discourse, Interaction, and Cognition*, Lawrence Erlbaum Associates, Inc., Pub, Hillsdale, New jersey, p.p 45 &p 65.

Van Dijk, Teun (A) & Kintsch, Walter: *Strategies of Discourse Comprehension*, Academic Press. Subsidiary of Harcourt Brace Jovanovich, 1983, p.p 6-11.

Wolfgang, Iser: "Indeterminacy and The Reader's Response," K. M. Newton, Twentieth - Century Literary Theory, reader London, Macmillan, 1989, p. 227.

Yiannis Gabriel: *Storytelling in Organization: Facts Fictions and Fantasies*, Oxford. Oxford University Press Georgy Schreyögg & John Koch, p. 17.